ترجمات

من نظرية دي كليرامبو في الآلية العقلية إلى نظرية لاكان في البنية الذهانية(*)

ترجمة:

د. السيد البدوي صديق

استشاري علم النفس الإكلينيكي

والعلاج النفسي

لاكان ومعلمه الوحيد:

في عام ١٩٦٦، عندما جاء لاكان ينشر كتابه "كتابات"، أضاف عدة منشورات قصيرة جديدة إلى مجموعة مقالات "كتابات" المؤثرة للغاية في التحليل النفسي. كانت إحدى المنشورات القصيرة الجديدة تحمل عنوان "عن أسلافي" (لاكان، ١٩٦٦). وفي هذا النص الرائع، فكر لاكان في العديد من السلطات والرموز التي كانت ترشده في تطوير مسيرته، بما في ذلك ميلاني كلاين وسلفادور دالي.

(*) From De Clerambaults theory of Mental Automatism to Lacans Theory of the Psychotic Structure Stijn Vanheule, Ghent, Belgium Psychoanlysis and History 20.2 (2018) : 205-228
Dol: 10.3366/pah.2018.0259@ Edinburgh University Press.

وكان هناك آخرون من أمثال الكسندر كوجيف وهنري فالون- الذين كان لهم بالتأكيد تأثير هام فيما يتعلق بالموضوعات التي كان يشير إليها لاكان- لم يتم ذكرهم Roudinesco, 1993 وفقط كلود ليفي شتراوس- الذي فتح الطريق نحو نهجه البنيوي للتحليل النفسي- هو من تمت الإشارة إليه بإيجاز في حاشية (هامش) سفلية. إن من أبرز المؤثرين الذين أشار إليهم لاكان هما سيغموند فرويد و دي كليرامبو. إن الإشارة إلى فرويد ليست بالمفاجئة. وبعد كل شيء، في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، قام لاكان بتنظيم سيميناره تحت شعار "العودة الي فرويد". ولقد كانت الإشارة إلى دي كليرامبو أكثر إثارة للدهشة، لا لأنه لم يذكره من قبل (أنظر على سبيل المثال لاكان، ١٩٤٧، ١٩٩٣)، ولكن لأنه أعطى لـ دي كليرامبو مكانة بارزة فيما يتعلق بأطروحته للدكتوراه الخاصة به (لاكان، ١٩٧٥ ١٩٣٢) وقام بشكل واضح بالربط بين مفهوم الآلية العقلية عند كليرامبو ونهجه البنيوى الكلينيكي: «كطبيب وطبيب نفسي، لقد قدمت، تحت عنوان «المعرفة البارانوية»، عدة نتائج نهائية لمنهج الإنهاك الكلينيكي الذي مثلته أطروحتي للدكتوراه في الطب [...] وهو منهج مستقي من عمل دي كليرامبو، معلمي الوحيد في الطب النفسي. إن فكرته عن «الآلية العقلية»، بإيديولوجيتها الآلية والمجازية، والتي هي بالتأكيد منفتحة للنقد، فيما يبدو لي، في محاولتها لفهم النص الذاتي [للمريض] والإمساك به، لهي وثيقة الصلة بما يمكن بناؤه على أساس ضرب من التحليل البنيوي بأكثر من أي نهج سريري آخر في الطب النفسي الفرنسي. (لاكان، ١٩٦٦: ص٦٥)».

في هذا الاقتباس، ثمة شيئان يبرزان على وجه الخصوص. من ناحية، يربط لاكان ارتباطًا واضحًا بين مفهومه الخاص عن «المعرفة البارانوية» ومفهوم دي كليرامبو عن «الآلية العقلية»، ومن ناحية أخرى، يربط مفهوم الآلية العقلية بشكل وثيق بنهجه البنيوي في التحليل النفسي.

وفي الواقع، كما يلمح لاكان، فقد طوّر في أطروحته للدكتوراه (١٩٧٥ [١٩٣٢]) منهجًا جديدًا في تناول الذهان، والذي قام علي فرضية وجود علاقة متخيلة مزدوجة فيما بين المريض وعالمه في أساس البارانويا. وهذه العلاقة المتخيلة المزدوجة تضرب بجذورها في عملية توحدية An Identificatory Process فيها يتم أسر الأنا من قِبل صور مثالية Ideal Images: صور من الخارج تغزو عقل المريض، وبالتالي يتم تثبيت وتنصيب خبرة إقحام التي تؤدي إلى قناعات لا تتزعزع Vanheule, 2011. يصف لاكان (١٩٧٥ [١٩٣٢]، ص: ٣٣٧) هذه القناعات بداية باعتبارها "معرفة هذائية" Connaissance - Délirante ولكن لاحقًا أشار إليها مستخدما مصطلح "المعرفة البارانوية" Paranoid Knowledge (على سبيل المثال، لاكان، ١٩٤٩،١٩٤٧). في منشوره الذي جاء يحمل عنوان "عن أسلافي On My Antecedents"، قام لاكان بربط مفهومه عن "المعرفة البارانوية" بعمل دي كليرامبو بشأن "الآلية العقلية" Mental Automatism. بعد كل شيء، فإن ثمة خبرة إقحامية تطفلية تقع في كلتا الحالتين (المعرفة البارانوية والآلية العقلية) في أساس الذهان. ومع ذلك، فإن لاكان في أطروحته نفسها، لم يشر في إسناداته إلى دي كليرامبو إلا نادرا، ولا يوجد أي رابط على الإطلاق بين الآلية العقلية والمعرفة الهذائية (ماليفال، ٢٠٠١). لذلك فإن من المناسب العمل علي توضيح سبب إهمال لاكان في البداية في ملاحظة العلاقة الواضحة بين هذين المفهومين.

ثانيًا: في الاقتباس أعلاه من ورقة "عن أسلافي" يقترح لاكان وجود علاقة وثيقة فيما بين نهجه البنيوي في التحليل النفسي ونظرية دي كليرامبو عن الآلية العقلية. هذا الي حد بعيد بمثابة بيان

تقريري، إذا ما أخذنا في الاعتبار الحقيقة التي مفادها أن نهج دي كليرامبو يرتكز على الحتمية البيولوجية والحتمية الميكانيكية، بينما يكون تركيز لاكان في عمله البنيوي بداية من الخمسينيات على اللاشعور واللغة. لذلك، يجب دراسة الرابط المقترح بين الآلية العقلية والنهج البنيوي عند لاكان بالتفصيل، مع التركيز على كيف تتقارب وجهتي نظرهما وكيف يتباعدا. في وقت مبكر في مسيرته، استخدم لاكان [في العام ١٩٣١] مفهوم البنية في علاقتها بالذهان. ففي ذلك الوقت، أشار إلى ديناميات بعينها في فئات فرعية محددة من الذهان، والتي تتماشى تمامًا مع عمل دي كليرامبو Roudinesco, 1994ومع ذلك، فإنه من الخمسينيات فصاعدًا، عندما أصبح عمل لاكان مستوحى من التفكير البنيوي وقائم عليه، قد اكتسب مفهوم "البنية" معنى مختلفا، وأصبحت منذ ذاك الحين تتعلق بإعمال Functioning اللاشعور القائم على اللغة، مما أضفي لمسة جديدة على استخدامه لمفهوم الآلية العقلية Haustgen & Gumpper, 2012.

وفي هذه المقالة سأناقش أولاً عمل دي كليرامبو، مع التركيز على مفهومه عن "الآلية العقلية". بعد ذلك، سأقوم بمراجعة جذور الاختلافات بين كلا المؤلفين، وأخيراً سأقوم بفحص كيف يمكن أن تكون الآلية العقلية موجودة في تفسير لاكان البنيوي للذهان. ونظرًا لأن لاكان نفسه لم يقم بتوضيح هذا الربط، فسوف أقدم تفسيرًا للكيفية التي تتلاءم بها الآلية العقلية داخل الإنموذج اللاكاني.

عن كليرامبو:

كان Gaëtan Gatian de Clérambault, 1872-1934 طبيبًا يعمل وفقًا لتقاليد الأطباء النفسيين الفرنسيين. ومن العام ١٩٠٥ فصاعدًا، بدأ يعمل في مستوصف خاص للجنون تابع لشرطة ولاية باريس، وقد تولي إدارته فيما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٤.

لقد كان هذا المستوصف يضم عدد ١٨ زنزانة، يتم فيها حبس الأشخاص الذين يُحتمل أن يكونوا مجانين بعد القبض عليهم من قِبل الشرطة. وفي هذا المستوصف كان يتم إخضاع المرضي للفحص الكلينيكي النفسي Rubens, 1998. لقد كان المحتجزون يبقون لفترات وجيزة يخضعون فيها للفحص الطبنفسي. وفي المتوسط، كان يخضع سنويا ما بين ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ شخص للفحص النفسي في هذا المستوصف (روبنز، ١٩٩٨). De Clérambault شخصية جد معروفة بالسرعة في اتخاذ قراراته السريرية الشاملة Michaux, 1973 والتي كان لها تركيزها الخاص: "إن الشهادة أو التقرير الذي كان يكتبه دي كليرامبو لا يهتم كثيرًا بتسمية الكيان المرضي، ولكنه كان في سطرين وفي بعض كلمات مختارة جيدًا يسلط الضوء على توهج وشدة الأعراض" Rubens, 1998: 160. تشير التقديرات إلى أنه قد كتب ما بين ١٣٠٠٠ و١٥٠٠٠ شهادة أو تقرير خلال مسيرة حياته المهنية Hriso, 2002; Haustgen & Gumpper, 2012. وفيما يتعلق بعمله التشخيصي، شغل كليرامبو أيضًا دورًا تعليميًا في هذا المستوصف الخاص للجنون، والذي يقوم أساسًا علي تقديم حالات كلينيكية للعامة حيث كان يجرى مقابلات ويناقش حالات مختارة بعينها من قسمه.

وفي العام ١٩٢٨ أكمل لاكان فترة تدريب الامتياز في هذا المستوصف الخاص، تحت إشراف دي كليرامبو (رودينسكو، ١٩٩٣؛ روبنز، ١٩٩٨). ومثل العديد من الآخرين (على سبيل المثال، هنري أيEy، ١٩٥٢) أشاد لاكان بمهارات المقابلة التشخيصية لـ de Clérambault وموهبته في الاستنتاج الاكلينيكي Lacan, 1947. من قِبل الكثيرين، كان يتم تذكر دي كليرامبو علي أنه فاحص ذكي ألمعي يتمكن من التواصل مع انشغالات المرضى بسرعة ومهارة كبيرتين:

«كان يقوم بممارسة مناورات حتي يتمكن من تحريك المريض إلى حد انتزاع أسراره: يتكلم الطبيب النفسي [دي كليرامبو] كل اللغات، ويتلاعب بكل الأساليب، ويعبئ كل سجلات الكلام ويحركها. إن قدرته على المحاكاة، والتي تهدف إلى محاصرة «المريض»، كانت رائعة حقًا .. (روبنز، ١٩٩٨: ١٥٧)"

في الواقع، غالبًا ما كان يتم استدعاء دي كليرامبو بسبب الاهتمام الدقيق الذي يوليه للتفاصيل السريرية الدقيقة المتميزة في قصص المرضى وكلامهم والتي قد تكون مؤشراً على حالة ذهانية (روبنز، ١٩٩٨). إن العملية الحاسمة التي كان يركز عليها هي الآلية العقليةMental Automatism.

ومع ذلك، كان هناك بعض المؤلفين أكثر استخفافًا بعمله. فمنذ عشرينيات القرن الماضي فصاعدًا، كان Andre Breton ينتقد ممارسات دي كليرامبو القاسية Roudinesco, 1994. وكما يشير ليجيول Leguil, 2002: 29-32 لقد كان لاكان هو الآخر (١٩٧٥ [١٩٣٢]) ممن ينتقدون جوانب من عمل دي كليرامبو في هذا المستوصف الخاص، وخاصة أسلوبه الاستجوابي في إجراء المقابلة الكلينيكية: فمن خلال موقعه كـ "خبير"، كان يميل كليرامبو إلى الإكراه على أخذ اعترافات من المرضى حول أعراض معينة؛ وبفعله هذا كان يفشل في الاستماع وبحق إلى مرضاه. لقد كان يتجنب المواجهة الذاتية مع الأشخاص الذين وصلوا في حالة أزمة في هذا المستوصف، وكان يختبئ وراء المخططات والأفكار الموضوعية Gumpper, 2012&Haustgen. في الوقت الحاضر وحتي يومنا هذا، لا يزال النقد موجهًا للممارسة الطبنفسية لـ- كليرامبو de Clérambault. فعلى سبيل المثال، كتب في مرحلة ما تقريرًا عقليًا عن الرسام الفرنسي موريس أوتريلو Maurice Utrillo الذي كان يعانى من إدمان حاد على الكحوليات ولديه سمات مرض الفصام. وجاء التقرير يحتوي على العديد من المغالطات والأخطاء الفعلية، وقد قام بوُصفه بأنه عاجز (ناقص) وسطحي Biéder & Bénézech, 2016.

الآلية العقلية Mental Automatism

بداية بورقة قصيرة قام بنشرها في عام ١٩٠٩، شرع دي كليرامبو في تأليف ونشر عدة أوراق بحثية حول موضوع الآلية العقلية علي مدار مسيرته المهنية. كانت هذه الأوراق البحثية مؤثرة للغاية. في العام ١٩٢٧، كرس الأطباء النفسيون و أطباء الأعصاب في فرنسا Aliénistes et Neurologist de France مؤتمرهم الحادي والثلاثين لهذا المفهوم (الآلية العقلية)، وشهدوا في هذا المؤتمر على تأثير عمل دي كليرامبو.

ولقد جاءت أول مناقشة تفصيلية لـ De Clérambault عن الآلية العقلية في العام ١٩٢٠، وقد تبعها بعد ذلك الكثير من الأوراق البحثية في هذا العقد تضم العديد من التفاصيل والصياغات (de Clérambault,1920a,1920b, 1923, 1924a, 1924b, 1925, 1926, 1927a. 1927b, 1927b). وفي عام ١٩٢٥، عرّف كليرامبو الآلية العقلية على أنها "متلازمة كلينيكية بعينها تتكون من ظواهر آلية تلقائية في ثلاثة سجلات: حركية، وحسية، وأيديولوجية لفظية» de Clérambault, 1925: 528. وبـ «ظاهرة آلية تلقائية» كان يشير إلى ضرب من الانفجار والحدوث المفاجئ لـ مظاهر غريبة في العلاقة الحميمة بين الجسد و/ أو العقل. والشخص الذي يمر بهذه الخبرات لا يشعر بأنها تخصه. بل على العكس من ذلك، فإنه ضمن إطار سجل عمل بعينه من الوظائف (الحركية والحسية والأيديولوجية)، تُظهر العناصر الإقحامية نفسها، والتي من خلالها يشعر الشخص بالخضوع لها بشكل سلبي. ويصف كليرامبو De Clérambault هذا بأنه خبرة لنزع الملكية والتدخل، مشيرًا إلى

أن الملكية فيما يتعلق بالأحداث التي تحدث داخليًا مفقودة de Clérambault, 1926: 546, 549. وبالمثل، نظرًا للطبيعة التلقائية والآلية والتوسع الميكانيكي للأحداث، يكون لها في البداية تأثير مفاجئ على الفرد. وسواء تحدثنا من الناحية العاطفية أو الموضوعية، فإن الخبرة تكون محايدة تمامًا أو غير فكرية. ما يأتي في المقدمة هو الحيرة، والحيرة المرتبطة بالتمزق في عملية التفكير، مما يؤدي إلى الفشل في فهم ما يحدث (دي كليرامبو، ١٩٢٥: ٥٤٢ - ٥٤٣). إن مثل هذه الحيرة ليست نتيجة لمحتويات عقلية يكون الشخص قي مواجهة معها، ولكنها تكون نتيجة لاضطراب أساسي في البنية الأساسية لخبرة عادية: `إن "الآلية العقلية في حد ذاتها لا تنطوي على ضرب من العدائية. ففي البداية، تكون الظواهر المكونة محايدة على المستوى العاطفي وغير موضوعية على المستوى الفكري التصوري" (دي كليرامبو، ١٩٢٣: ٤٩٠).

في الواقع، يعتبر دي كليرامبو الآلية العقلية عملية نووية Nuclear شاملة تكمن وراء العديد من أشكال الجنون (دي كليرامبو، ١٩٢٠أ، ١٩٢٦): "تشمل هذه المتلازمة جميع أنواع الهلاوس التي نعرفها بالفعل؛ ومع ذلك، فإن مفهوم الآلية العقلية يعتبر أكثر شمولاً من مفهوم الهلوسة`(دي كليرامبو، ١٩٢٥، ص ٥٢٨). وبينما تتضمن الآلية العقلية هلاوس، فإنها تشير إلى عملية تدخل Process of Interference عامة على مستوى الأداء الحركي أو العاطفي- الحسي أوالتوظيف الإيديو- لفظي، والتي يمكن ملاحظتها بالفعل في الحالات الذهانية الاستهلالية (دي كليرامبو، ١٩٢٦،١٩٢٣). عادة ما تسبق الآلية العقلية غير الهلوسية حدوث هلوسات، لكن كلاهما قد يتعايشان معا (دي كليرامبو، ١٩٢٤ أ).

في إطار عملية التداخل العامة، يميز دي كليرامبو بين كل من الظواهر التلقائية الإيجابية والتلقائية السلبية. بعبارة أخرى، يمكن التعبير عن الآلية في ضوء عناصر جديدة تضاف إلى إعمال الفرد الذهني (ألية عقلية إيجابية)، أو في ضوء تحلل عناصر من شأنها أن تساهم بشكل معتاد في هذه الوظائف الذهنية (آلية عقلية سلبية). تشكل الأولى ظواهر الإقحام والتطفل، في حين تشكل الثانية ظواهر التثبيط والكف (دي كليرامبو،١٩٢٤ ب، ١٩٢٦). يعطي الجدول ١ نظرة عامة على المظاهر السريرية المحددة التي قدمها دي كليرامبو كدليل على الظواهر التلقائية الإيجابية والسلبية في الأداء الحركي أو العاطفي- الحسي أو الإعمال والتوظيف الأيديو- لفظي (انظر أيضًا رينارد، ١٩٩٢).

وطوال أعماله، يميز دي كليرامبو (على سبيل المثال،١٩٢٤ ب،١٩٢٦) في كثير من الأحيان ما بين الآلية الصغري Minor (الأوتوماتيكية الصغيرة) والآلية الكبرى major (الأوتوماتيكية الكبرى). تشير الآلية الصغري إلى الظواهر الأيدي- لفظية الإيجابية والسلبية الخفية التي لم يكن لها بعد تأثير محير على الأداء الشخصي للشخص. وفي كثير من الأحيان بالكاد يتم ملاحظتها؛ فهي "مغايرة للألياف (مخدرة) Anideatic"، بمعنى أنها لا تحتوي على محتوى محدد؛ وتكون محايدة من الناحية الوجدانية. أما الآلية الكبري فهي تشير الي أن الوظائف الحسية- الوجدانية والحركية تكون متورطة مُتَضمنة، وأن الظواهر التلقائية الجسيمة، بما في ذلك الوظائف الأيديو- لفظية، تعطل أداء الشخص وتجعله يضطرب. هذا يجعل المريض مرتبكًا ومربكًا. غالبًا ما يتبع الآلية الصغري آلية كبري، لكن هذا ليس هو الحال دائمًا. غالبًا ما تظهر أصداء فكرية في الانتقال بين هذه الخبرات Lanteri-Laura & Daumézon, 1961.

ما يميز نهج دي كليرامبو هو أنه على الرغم من التزامه الوثيق بمواد المريض ومعطياته والملاحظات السريرية، إلا أنه لم يكن يخوض في التفاصيل.

قائمة المظاهر الإكلينيكية المحددة التي تشهد على العقلية التلقائية:

الظواهر الإيجابية على مستوى الأداء الأيديو-لفظي: ideo-verbal functioning

- تفكير تلقائي: أفكار غريبة مدهشة تحدث في العقل وليس الفرد هو من يخلقه (دي كليرامبو، ١٩٢٠ أ)

- السيطرة على التفكير: يتأثر العقل ويتم توجيهه عن طريق قوة خارجية (دي كليرامبو، ١٩٢٠أ).

- أصداء التفكير: يتم سماع أفكار بطريقة متكررة، على أنها تأتي من الخارج.

- ارتباك وتشتت بسبب أفكار لا يمكن تحديدها (دي كليرامبو، ١٩٢٠أ).

- تسابق في التفكير: تحدث الأفكار في العقل قبل أن يكون الفرد كونه يفكر بإنتاجها (دي كليرامبو، ١٩٢٣).

- تفكير بدائي لامنطقي: ينشغل التفكير باللعب بالأرقام والمقاطع، الألوان، والإيقاع في الكلام، والتكرار، وعمل مقارنات جسيمة (دي كليرامبو، ١٩٢٣)

- تفكر مجزأ مفتت (دي كليرامبو، ١٩٢٤ ب)

- إدراك خاطئ (دي كليرامبو، ١٩٢٤ ب)

- استبدال في التفكير: عمليات تفكير مستمرة تزعجها أفكار مفروضة.

- أبروكسيا: التفكير يكون سريعا جدًا، وهناك عدم قدرة على تركيز الانتباه عليه (دي كليرامبو،١٩٢٤ ب).

- التقطع والتفتت: الأشياء الشائعة والأشخاص يختبرون فجأة على أنهم غريبون (دي كليرامبو، ١٩٢٦).

الظواهر السلبية على مستوى الأداء الأيديو-لفظي:

- التوقف والفراغات في عمليات التفكير.

- اختفاء الأفكار (دي كليرامبو، ١٩٢٤ ب)

- الارتباك بدون غرض أو موضوع (دي كليرامبو، ١٩٢٦)

الظواهر الإيجابية على مستوى الأداء الحركي:

- تجربة الإكراه والتوجيه على مستوى أفعال الفرد (دي كليرامبو، ١٩٢٠ أ)

- الكتابة التلقائية: تدوين الأشياء خارج نطاق السيطرة الواعية.

- اندفاعات حركية غريبة.

الظواهر السلبية على مستوى الأداء الحركي:

- المثبطات الحركية (دي كليرامبو، ١٩٢٤ ب)

الظواهر الإيجابية على مستوى الأداء الحسي-الوجداني:

- اضطراب تخليقي Cenethetic أو اعتلال Cenestopathy: أحاسيس غريبة قد تكون ممتعة أو بغيضة، وتظهر عبر الجسم أو في مناطق محددة de Clérambault, 1920a

- إدراكات حسية غريبة، مثل علي مستوى حاسة الشم (دي كليرامبو، ١٩٢٣)

- إدراك تلقائي شبه بصري للذكريات (دي كليرامبو، ١٩٢٤ ب)

- عسر الحس: أحاسيس لمسية غير طبيعية تنطوي على أحاسيس مؤلمة، مثل الإبر أو التيارات الكهربائية (دي كليرامبو، ١٩٢٦).

- حالات عاطفية مفاجئة، مثل الحزن أو القلق أو الفرح أو الغضب، يتم اختبارها على أنها غير مناسبة(دي كليرامبو، ١٩٢٤ ب).

- مخاوف وسواسية غريبة واندفاعات تشغل العقل (دي كليرامبو، ١٩٢٤).

- عواطف بدون موضوع (دي كليرامبو، ١٩٢٦).

الظواهر السلبية على مستوى الأداء الحسي – الوجداني

- التعب المفاجئ : de Clérambault, 1924b

وثمة نظام تشخيصي وصفي أوسع يركز على أعراض معينة لـ الذهان- مثل الهلاوس والضلالات. ما يثيراهتمام كليرامبو هو الآلية العقلية بوصفها الآلية الأساسية على أساس جميع أنواع الجنون أوالذهان.علاوة على ذلك، بينما تهدف مناهج التشخيص الوصفي إلى الكشف عن الصورة السريرية الشاملة للظروف الذهانية المتنوعة، افترض دي كليرامبو أن الأعراض لم تكن كلها متساوية في الأهمية. وطوال عمله، كان يهدف الإمساك باللبنة الأساسية التي تحدد ما إذا كانت الحالة ذهانية أم لا. وانطلاقا من نظريته، فإن المرضى الذين يعانون من خبرات هلوسية،ولكن بدون ظواهر آلية، لم يُنظر إليهم على أنهم ذهانيون. وبالمقابل فإن المصابين بظواهر آلية ولكن بدون أعراض وصفية مثل الهلوسات والهذاءات، كان ينظر إليهم بالفعل علي إنهم ذهانيون.

وفي صياغة تطويرية لنظريته في الآلية العقلية، قام دي كليرامبو بصياغة إطار وصفي كان من الناحية النظرية غير معقد. كانت المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها أعمال أسلافه في مجال الطب النفسي الفرنسي. وكما أشار دي كليرامبو (١٩٢٣، ١٩٢٤ أ) بنفسه، فإن مفهومه عن الآلية العقلية يبني بقوة على أفكار Jules Baillarger, 1856 حول أصداء الفكر والهلوسة النفسية، والتي تتعلق بخبرة أفكار مفروضة imposed thought. وثمة مصدر آخر مهم لـ de Clérambault يتمثل في عمل Jules Séglas, 1888 حول الهلاوس الحركية النفسية اللفظية، والتي تتناول خبرة الكلام المفروض Imposed Speech Lanteri-Laura,2004; Haustgen & Gumpper, 2012; Daumézon & Lanteri-Laura, 1961. وما هو فريد في المتلازمة الكلينيكية التي قد وصفها دي كليرامبو هو أنه جمع الأخير (الكلام المفروض) مع قائمة واسعة من الظواهر المتطفلة الإقحامية الأخرى التي لها تأثير مماثل على المريض. من حيث الأنواع الفرعية للذهان، ربط دي كليرامبو الآلية العقلية بأنواع مختلفة من البارانويا، التوهم المرضي، الهوس، الميلانكوليا، والذهان الهلوسي (دي كليرامبو، ١٩٢٣، ١٩٢٤ أ، ١٩٢٥؛ رينارد، ١٩٩٢). ومع ذلك، فقد استخدم مفهومًا موحدًا للذهان Hriso, 2002 كما يتضح من اقتراحه أن الظواهر التلقائية الآلية المماثلة يمكن أن تؤدي إلى أنواع مختلفة من الضلالات. فعلى سبيل المثال، قد تؤدي الأحاسيس الحسية أيضًا إلى حدوث ضلالات مرضية مثل الضلالات ذات المحتوى الديني أو الاضطهادي de Clérambault, 1925.

إن مفتاح عمل كليرامبو هو افتراض وجود موازٍ صارم بين الآلية العقلية، كما تتم ملاحظتها سريريًا، والاضطرابات العصبية الكامنة التي تسبب الظواهر الآلية. لقد كان كليرامبو مفكرا نيورولوجيا صارما وافترض أن الآلية العقلية هي استجابة سلبية لعدوي، لتسمم أو لأورام. وبالنظر إلى حقيقة أن الآلية نفسها تخضع لمنطق ميكانيكي، وعادة ما تتطور بنفس الطريقة المنقوشة، فقد افترض أن الأصل يجب أن يكون ميكانيكيًا بطبيعته أيضًا، بدلاً من أن يكون متجذرًا في الصراع النفسي، على سبيل المثال de Clérambault, 1926. كانت التفسيرات النفسية غير قابلة للتصديق على الإطلاق بالنسبة له، وقد وضعها جانباً de Clérambault, 1927. ومع ذلك،

لا يبدو أن دي كليرامبو كان مهتما جدًا بمسألة العلاقة السببية Leguil, 2002. وفي الواقع، قد يكون مفهوم "الآلية" كذلك قد لعب دورًا مجازيًا بحتًا (ميلر، ١٩٧٨).

وتماشياً مع فكرته أن الآلية العقلية تشكل الميكانيزم الرئيسي في الذهان، فإن الأعراض الأخرى، مثل الضلالات، كان يُنظر إليها على أنها ردود فعل ثانوية: "إن الضلال الفعلي ليس سوى رد فعل إلزامي للعقل المنطقي، والذي غالبًا ما يكون سليماً، لظواهر ناشئة عن وعي باطني قبل شعوري". إن الضلالات هي تطورات وصياغات لظواهر تلقائية ألية تغمر الفرد وتزعجه: "إن شدة الإحساس وطابعه غير المتوقع وثباته وغربته هي التي تدفع الذات [...] إلى الميل نحو التفسير الخارجي" de Clérambault, 1925: 533. وفي الواقع، فإن التفسيرات الضلالية هي استجابات فكرية قد تؤدي في النهاية إلى تطوير شخصية ضلالية "ثانية" (دي كليرامبو، ١٩٢٧). وفيما بين حدوث ظواهر آلية وصياغة ضلال من الضلالات قد يكون هناك ما يسمى بفترة الحضانة، وخلالها، بطريقة سرية، تغزو الخبرة الأولية للتطفل والإقحام تدريجياً الحياة العقلية الأوسع للمريض. وما يميز فترة الحضانة هذه هو الارتباك بسبب الأفكار والخبرات المتناقضة: "تنشأ صورة غير متوقعة، وتثير فكرة لا يمكن دحضها؛ ثم تصبح مؤرقة، وتثير العديد من الأفكار المتناقضة" (دي كليرامبو، ١٩٢٣: ٤٨١).

تساؤل كليرامبو:

بينما قدم دي كليرامبو ضروب وصف واضحة للألية العقلية، إلا أن تأملاته حول الرابط بين الظواهر التلقائية والضلالات تركت العديد من الأسئلة مفتوحة.

أولاً، بينما يزعم أن الضلالات كانت تفسيرات مستمدة مستقاة من إقحامات تلقائية (إقحامات ألية)، إلا إن الفاصل بينهما لم يكن واضحًا. فعلى سبيل المثال، قدم كليرامبو في العديد من الحالات السريرية شظايا مثل ما يلي، والتي فسرها على أنها مؤشر على الآلية:

«إنهم يعرفون كل شيء عن حياتي. يقضون وقتهم في مشاهدتي وقول كل شيء عني. كانوا يقولون كل شيء أمام صديقتي، ولهذا السبب لم نتزوج» [...] «إنهم يخيفونني. يقترحون عليّ أن أصرخ على القاتل في الشارع حتى يتم اعتقالي كمجنون. يجبرونني على الشكوى. من حين لآخر كنت أرغب في تقديم شكوى بشأن شخص ما، ثم لم أعد أرغب في ذلك، لكنني اضطررت إلى القيام بذلك «. de Clérambault, 1924b: 519. وعلى النقيض من الفكرة العامة القائلة بأن الآلية العقلية هي محايدة بشكل مؤثر، وملحدة أو «غير فكرية»، فإن هذه الشظايا تشهد ليس فقط على التطفل (الإقحام)، ولكن أيضًا على التلاعب بواسطة قوة خارجية، «هم»، وهي ليست محايدة، ولكن حاقدة في الطبيعة. من الواضح أن الآلية والضلال قد يتداخلان.

وحول هذه النقطة، يعتبر حل لاكان الذي تم استكشافه بعد عدة عقود في سيمناره حول الذهان، مثيرًا للاهتمام. وبتناقضه مع دي كليرامبو، اقترح لاكان أن الضلالات لا ينبغي النظر إليها على أنها استنتاجات أو تفسيرات فكرية، ولكن باعتبارها تباينات من نفس المشكلة. فللوهلة الأولى تبدو الضلالات أكثر تعقيدا، لكنها في النهاية تعبر عن (تمفصل) نفس البنية الأولية للتقطع. وفي تحديد لاكان لكليهما، يقترح أن الضلال يبدأ بمجرد أن يصبح «اختلاط الذوات» على المحك (لاكان، ١٩٩٣: ١٩٣): «إن هذا يكون متضمنا دوما في الضلال: إن المرء يجعلهم يفعلون هذا» ١٩٩٣ : ١٩٤). بالنسبة إلى لاكان، تشير الآلية العقلية إلى خبرة سلبية لتغيرات ذاتية، بينما

تشير الضلالات إلى أن مثل هذه التعديلات تُنسب ويتم عزوها إلى تحكم خارجي، الذي يُعرّف الذات بأنها بيدق أو دمية في يد شخص متلاعب. وفي الواقع، تشكل هذه الظواهر الآلية «نقطة طفيلية» في العلاقة الحميمة للحياة العقلية، وتزيد الضلالات من توضيح هذه البنية الأساسية (لاكان، ١٩٩٣: ١٩؛ ماليفال، ٢٠٠١).

في طرح هذا الادعاء بأن الضلالات لا تُستخلص من تعبيرات عن ألية عقلية، يرى المرء دليلًا على تأثير عمل سلفادور دالي على لاكان في الثلاثينيات. لقد صاغ دالي في وقت مبكر فكرة أن الآلية لها دور مهم تلعبه في إنتاج «المعرفة البارانوية» Roudinesco, 1994; Garrabé, 2005. لقد اقترح دالي (١٩٣٠ أ) في ورقته البحثية "The Rotting Donkey" أن الضلالات لا تظهر كرد فعل ضد بعض العناصر البدائية، ولكنها تشكل بشكل مستقل أسلوبًا في التفكير لا يتبع قواعد العقلانية. التفكير البارانوي يخضع لمنطق داخلي صارم. إنه ينظم الارتباك والخلط الذي يواجهه المرء، وينتج صورة زائفة عن العالم تكشف عن جانب آخر من الواقع غير الذي يجلبه الفكر العادي إلى الواجهة. لقد أوضح دالي 1930a, 1930b هذه الأفكار قبل مواجهة لاكان (Roudinesco, 1994؛ Garrabé, 2005) ويمكن الافتراض بشكل معقول أن دالي ألهم لاكان في التأكيد على الطابع المستقل، غير الاستنتاجي للتفكير الضلالي.

ثانيًا، أثناء مناقشة أصداء الفكر في مؤتمر في عام ١٩٢٧، لاحظ دي كليرامبو أن الآلية العقلية أظهرت "نزعة ازدراء": عادة أصداء الفكر لا تعبر عن أفكار مجردة؛ وهي تتميز بدلاً من ذلك بـ "فظاظة الكلمات والأفكار والمشاعر" de Clérambault, 1927b : 595. ويبدو أن هذه الملاحظة مهمة في كونها تتناقض مع الاعتقاد الأولي الذي مفادة أن الظواهر الآلية غير فكرية وغير ثيماتية. وفي حين أنه قد يكون صحيحًا أن الآلية العقلية تعطل أنماط التفكير المعتادة للفرد، وتطلق أفكارًا لم يفكر فيها الشخص، يمكن ملاحظة اتجاهات موضوعاتية معينة فيما تبرزه في المقدمة. وفي الواقع، تُظهر الحالات التي قدمها دي كليرامبو خلال حياته المهنية أن الظواهر الآلية غالبًا ما تعبر عن محتويات مبتذلة أو عدوانية أو مرتبطة بالموت أو ساخرة صريحة. وفي أوراقه اللاحقة، لاحظ دي كليرامبو هذه المحتويات، ولكن نظرًا لأنه لم يتناولها من الناحية النفسية، بدا أنها قد حيرته وكانت ملغزة. فمن ناحية، أشار دي كليرامبو إلى أن "سيكولوجية الصدى ومشتقاته لا تزال بحاجة إلى إثبات" :de Clérambault, 1927b 590 ولكن من ناحية أخرى، خلص إلى أن النزعة التحقيرية الازدرائية لها أصل عصبي مما يشير إلى أنها تعكس ميلًا عصبيًا نحو "الطبيعة الحيوانية". وبشكل عام، يبدو أن هذا التفسير يشير إلى حدود تفسيراته الميكانيكية والعضوية، وعلى وجه التحديد في هذه المرحلة لأن نظرية لاكان البنيوية بشأن "سقوط القيد" Foreclosure، والتي تم تفصيلها في سيمينار ه الثالث (لاكان، ١٩٩٣) وفي مقالة عام ١٩٥٩ بعنوان: "حول سؤال أولي يسبق أي إمكانية علاجية للذهان" أثبتت قيمتها. كما سأوضح أدناه. وأثناء التأكيد على الآلية العقلية باعتبارها متلازمة إكلينيكية، استمر لاكان في توضيح النقطة التي مفادها أن ما هو على المحك في الآلية العقلية هو ثمة وضعية ذهانية نموذجية على مستوى اللاشعور: قضايا وجودية، مثل النشاط الجنسي، والموت، والأبوة، والتي لا يمكن معالجتها من خلال المبادئ القانونية التي يتم تمفصلها عن طريق الاسم- بتاع- ال- أب، ونتيجة لذلك، تعود هذه الموضوعات في فترات تقطعات مليئة بالمتعة Jouissance-Laden Interruption. ومع ذلك، فقد ذكر لاكان بالفعل في أطروحته للدكتوراه أن الآلية العقلية غالبًا ما تعبر عن

محتويات محددة بعينها (لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢]): إن الثيمات الضلالية هي ليست ثانوية في طبيعتها، ولكنها موجودة حاضرة بالفعل في الاضطرابات المبكرة للحياة العقلية Maleval, 2001 .

وأخيرًا، تجدر الإشارة أيضًا إلى أنه في عدة مناسبات أعرب دي كليرامبو عن استيائه من الاسم الذي أطلقه على المتلازمة، ربما لأنه ردد النظريات التي أراد أن ينأى بنفسه عنها. وتشمل هذه "متلازمة العمل الخارجي" Syndrome d>action Extérieure التي وضعها هنري كلود (١٩٣٠)، والتي تصف مشاكل مماثلة، ولكنها تركز بقوة أكبر على الأفكار التي يتم التعبير عنها عبر ظواهر ألية تلقائية، ونظرية بيير جانيه (١٨٨٩) عن الآلية السيكولوجية، والتي تركز على المعالجة غير الشعورية للمنبهات الحسية Roudinesco, 1994. لذلك، فقد اقترح في أوراق لاحقة أسماء بديلة أفضل للمتلازمة، بما في ذلك "متلازمة السلب" - متلازمة السلبية (دي كليرامبو، ١٩٢٥ : ٥٤٢؛ ١٩٢٦: ٥٧٤)؛ "متلازمة S" (دي كليرامبو، ١٩٢٧ ب: ٥٨٨)؛ متلازمة صدي الصوت d>echo (دي كليرامبو، ١٩٢٧ ب: ٥٩٩)؛ "متلازمة ميكانيكية Mecanique. أو "متلازمة دي كليرامبو" (دي كليرامبو، ١٩٣٣، ص ٦٠٧). ومع ذلك، في التقليد اللاحق للطب النفسي، أثبتت الآلية العقلية أنها المفهوم الذي يستخدم في أغلب الأحيان للإشارة إلى هذه المتلازمة.

لاكان ودي كليرامبو: تاريخ الحب والكراهية

كما سيتضح في هذا القسم، كانت العلاقة بين لاكان ودي كليرامبو متضاربة تمامًا. تشير Roudinesco,1993 إلى أنه خلال تدريبه في الطب النفسي تأثر لاكان بشكل خاص بثلاث شخصيات رئيسية في الطب النفسي الفرنسي: Georges Dumas، أستاذ الطب النفسي في جامعة السوربون ذو التوجه البيولوجي؛ Henri Claude، كبير الأطباء في عيادة سانت آن للأمراض النفسية في باريس، والذي جمع بين خطوط الدينامية النفسية والعضوية في التفكير فيما يتعلق بعلم النفس المرضي؛ ودي كليرامبو. وفي عمله اللاحق، شدد لاكان على أن دي كليرامبو أثر عليه بشكل خاص. في ورقته البحثية عام ١٩٤٧ بعنوان "عرض حول السببية النفسية"، وهي منشور نقدي عن عمل هنري آي، يسمي لاكان دي كليرامبو بأنه "معلمه الوحيد في ملاحظات المرضى" (لاكان، ١٩٤٧:١٣٧)، وكما أشرنا سابقًا، في عام ١٩٦٦، "معلمه الوحيد في الطب النفسي" (لاكان، ١٩٦٦:٥١). خلال سيميناره حول الذهان في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، ذكر أنه تعرّف على الطب النفسي عبر "العلاقة الحميمة" مع دي كليرامبو (لاكان، ١٩٩٣: ٥)، مما يشير إلى وجود علاقة ثقة وصداقة، وظل لاكان حتي نهاية حياته يتحدث عن كليرامبو باعتباره معلمه القديم الجيد Roudinesco, 1993 :487. ومع ذلك، فإنه من أوائل الثلاثينيات حتى وفاة دي كليرامبو في عام ١٩٣٤، كانت علاقتهما مضطربة.

كان أول حجر عثرة بينهما هو ورقة كتبها لاكان عام ١٩٣١ عن الأذهنة البارانوية. في هذه الورقة- "بنيانات الذهانات البارانوية" - استعرض لاكان الأنواع الفرعية من البارانويا، مع التركيز على الخصائص السريرية التي تحدث بشكل متكرر، والمسارات النموذجية للسيكوباثولوجي، والتشخيص، والسبب، والقضايا الطبية -القانونية. ميز لاكان الأنواع الفرعية بين تشكل بارانويدي شامل؛ ضلالات تفسير، ضلالات هوي وشغف. وفي إشارة إلى دي كليرامبو، قام بتقسيم تال بشكل أكبر عن طريق التمييز بين ضلالات الادعاء Revendication، والإريتومانيا، وضلالات الغيرة. في هذه الورقة البحثية، أشار لاكان إلى الأعمال الكلاسيكية لـ Kraepelin (المذكورة مرتين)، Sérieux و Capgras (المذكورة أربع مرات)، ولمعلميه (ذكر مرتين) ودي

Clérambault (مذكور ست مرات). في الواقع، فإن De Clérambault هو المرجع الأكثر ذكرًا في هذه الورقة، وفي الهامش يثني عليه:

«لقد تمت استعارة هذه الصورة [صورة الحلقة الدنيوية للإشارة إلى الظواهر الذهانية الأولية] من التدريس اللفظي لمعلمنا كليرامبو، الذي ندين له بالكثير من حيث المادة والطريقة، بحيث إنه حتي نتجنب مخاطر سرقته علميا، علينا أن نشيد به ونثني فيما يتعلق بجميع المفاهيم التي نستخدمها». (لاكان، ١٩٨٨ [١٩٣١: ١٠].

ومع ذلك من خلال تصنيف الذهان العاطفي على أنه نوع فرعي من البارانويا، انضم لاكان بالفعل إلى جانب كلود، متناقضًا مع دي كليرامبو، الذي ميز بوضوح كلا النوعين من الذهان ,Maleval 2001. علاوة على ذلك، في مناقشة الآلية العقلية، استخدم لاكان مفهوم كلود (١٩٣٠) "متلازمة العمل الخارجي"، الأمر الذي أبعده عن دي كليرامبو (ماليفال، ٢٠٠١). لقد أثارت الورقة حفيظة دي كليرامبو، الذي هاجم لاكان علانية، متهما إياه بالسرقة الأدبية (العلمية). لقد تأثر لاكان بهذا الهجوم لكنه لم يرضخ للاتهام، مما قد يشير إلى أن السارق الحقيقي هو دي كليرامبو ,Roudinesco Rubens, 1998 ; Leguil, 2002 ; 1993;. ومن الواضح، من خلال تقديم أفكار من كلود وفرويد في ورقته البحثية هذه، لم يلتزم لاكان بدقة بأفكار دي كليرامبو حول البارانويا والذهان العاطفي (ماليفال، ٢٠٠١). لقد كان كليرامبو هو نفسه محتقرًا لهنري كلود، "وطالب بالولاء الصارم له من أتباعه Roudineso, 1993 وهو ما لم يقدمه لاكان.

من العام ١٩٣٠ فصاعدًا ارتبط لاكان ارتباطًا وثيقًا ب- هنري كلود، الذي كان في عام ١٩٣٢ مشرفًا على أطروحته للدكتوراه وكان يتمتع بمكانة أكاديمية عامة. كما شارك في الحركة السريالية التي كانت تهاجم دي كليرامبو بعنف منذ عام ١٩٢٨ فصاعدًا بسبب الممارسات اللاإنسانية في المستوصف الخاص (رودينسكو، ١٩٩٤ ؛ روبنز، ١٩٩٨). علاوة على ذلك، عندما نشر لاكان (١٩٨٨ [١٩٣١]) هذه الورقة، كانت صحة دي كليرامبو تتدهور بسبب إعتام عدسة العين، مما كان له تأثير مدمر على قدرته على الكتابة.

في عام ١٩٣١ أصبح الانقسام حقيقة. وفي ورقة أخرى نُشرت لاحقًا في عام ١٩٣١ حول موضوع الكتابة التلقائية في حالة البارانويا Lévy-Valensi et al., 1931 لا يزال يشير إلي كليرامبو لأنه كتب تقريرًا تشخيصيًا عن المريضة عندما كانت تقيم في المستشفى (مستوصف خاص). ومع ذلك، فإن نظريته عن الآلية العقلية، والتي تتضمن في الواقع الكتابة التلقائية de Clérambault, 1920a لم يتم استخدامها. وعلى النقيض من ذلك، كانت هناك إشارة قوية إلى ممارسة الكتابة التلقائية من قبل المؤلفين السرياليين مثل Andre Breton . لقد هاجم بريتون علنًا دي كليرامبو بسبب ممارساته التي عفا عليها الزمن في المستوصف الخاص، كما شجب دي كليرامبو بدوره السرياليين ووصفهم بأنهم خطيرون ,Roudinesco, 1994 Rubens 1998;.

وتشهد أطروحة الدكتوراه التي كتبها لاكان (١٩٧٥ [١٩٣٢]) مزيدًا من الشهادة والدليل على هذا الانقسام. فلقد جاءت النقاط المرجعية الرئيسية تشير إلي كلود وجاسبرز وبلويلر وكريبلين. ولم يكشف لاكان عن إسهامات دي كليرامبو في موضوع بحثه إلا في فقرات قليلة فقط. فلقد ذكر دي كليرامبو عند تناوله للبارانويا والاريتومانيا، لكن عمله في الآلية العقلية لم يُشر إليه إلا في حاشية مبكرة (لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢]، ص ٢٥، رقم ١٤). هذا أمر ملحوظ بالنظر إلى أن لاكان يناقش

مفهوم الآلية العقلية عبر ١٤ صفحة (لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢]، ص ١٢٦-٣٩)، وفي دراسة حالة "إيمي" أنواع مختلفة من التداخل، مثل الإقحامات العقلية السرية وضروب الكف (الكفوف)، بالإضافة إلى الاندفاعات والحيرة كأساس للبارانويا لديها (على سبيل المثال لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢] : ١٥٦، ١٧٥-٧، ١٨٩، ٢٠٧-١٧). في مناقشته للألية العقلية، يشير لاكان إلى ورقة بحثية صغيرة كتبها Mignard & Petit, 1912 والتي لا تقدم وصفًا قويًا للموضوع.

وعلى مستوى أكثر ضمنيًا، فإن منهجية لاكان (١٩٧٥ [١٩٣٢]) التي قام بتطبيقها عند مناقشته حالة "إيمي" تفترض أيضا قطيعة مع دي كليرامبو. لقد كان كليرامبو عندما يجرى مقابلاته مع أشخاص مسجونين في المصحة الخاصة كان لديه موقف موضوعي: بدءًا من عقيدته الشخصية فيما يتعلق بالآلية العقلية، كان يقوم بتفحص ما إذا كانت الآلية حدثت وكيف. وكان هذا يستغرق عادةً مقابلة واحدة، وكان الاتصال الشخصي مع الأشخاص الذين تمت مقابلتهم محدودًا Gumpper, 2012 & Haustgen Rubens, 1998;. وبالتالي، فإن نهج دي كليرامبو كان متناغمًا مع توصية Falret التي مفادها أنه على النقيض من الأساليب السردية التي يطبقها بينيل وإسكيرول، يجب ألا يستمع الطبيب النفسي إلى قصص الناس فحسب، بل يستفسر بنشاط عن العناصر التي تشير إلى الإعمال الضلالي Sauvagnat, 1999 . شدد فاليرت Falret على القول المأثور بأنه لا ينبغي علي الطبيب النفسي أن يصبح "سكرتيرًا للمجنون" (انظر Sauvagnat, 1999. من الواضح أن لاكان، من جانبه، كان يتطلع إلى الظواهر الذهانية المتنوعة عند مناقشة حالة إيمي، لكنه لا يتصرف مثل كليرامبو في أسلوبه الاستقصائي التحقيقي. لقد وضع هذه الظواهر ديناميًا من حيث التحديات والقضايا التي يواجهها مريضه، مما يضعه في اتجاه التحليل النفسي Vanheule, 2011. وفي وقت لاحق، عندما عاد إلى موضوع الذهان في سيميناره الثالث (١٩٩٣ : ٢٠٦)، أكد لاكان كذلك على أهمية مثل هذا الموقف، قائلاً «أن تصبح سكرتيرًا للمجنون» ليس بالأمر السيئ في الواقع: لا ينبغي للمحلل الاكتفاء بالاستفسار عن ظواهر ذهانية بعينها، بل يجب عليه أن يضعها في سياق الموقف العام للشخص فيما يتعلق بالسياق الرمزي.

كما هو موضح في المقدمة، لقد قدم لاكان في أطروحة الدكتوراه الخاصة به مفهوم "المعرفة الضلالية Connaissance - Délirante" والتي سميت فيما بعد بـ "المعرفة البارانوية". ومن خلال هذا المفهوم، لفت لاكان الانتباه إلى الفهم الضلالي الراسخ للمرضى المصابين بجنون العظمة (البارانويين) للأحداث التي تحدث، والتي لم تكن، في تجربتهم، نتاجًا لإدراكهم وخيالهم، بل كانت قد تكشفت تلقائيًا آتية من الخارج. ويتوافق هذا الخط من التفكير جيدًا مع أوصاف دي كليرامبو (1920a، 1924b) لنوع الإقحام المناسب للتفكير الآلي والمعرفة الخاطئة. ومع ذلك، ينكر لاكان هذا الارتباط ولا يستشهد بـ كليرامبو، على الرغم من أنه لاحقًا، يشير لاكان (١٩٦٦) في كتابه "عن أسلافي" إلى أن جذور مفهومه موجودة هناك. من الممكن أن تكون علاقته المتضاربة مع دي كليرامبو، واعتماده على كلود، وبحثه عن تفسير سيكولوجي النشأة للبارانويا أعاقته من توضيح هذا الارتباط في ذلك الوقت Roudinesco, 1994.

في عام ١٩٣٣، عندما نشر مقالته عن "جرائم قتل الأخوات بابين" Murders of the Papin Sisters» "في مجلة Minotaure السريالية"، ألمح لاكان إلى عمل دي كليرامبو في العيادات الخاصة، وإن لم يذكره صراحة:

«يعرف كل طبيب نفسي الجو الأكثر خصوصية الذي غالبًا ما تثيره بعض الأساليب النمطية في سرد المريض، حتى من قبل أن تكون التكوينات الضلالية قد تكشفت بشكل صريح. فإذا اختبر المرء هذا الانطباع، فلا عجب أن يدركه المرء. هو. وفي الواقع، عادة ما يعتمد الفرز في خدمات الشرطة على هذه التجربة. (لاكان، ١٩٣٣: ٢٧)

بعد وقت قصير من وفاة دي كليرامبو في عام ١٩٣٤، أشار إليه لاكان مرة أخرى على أنه «معلمه» Leguil, 2002 ; Maleval. 2001. في العام ١٩٣٥ ذكر نظرية دي كليرامبو عن الآلية العقلية مشددًا على "الأعمال الجميلة لهذا المعلم" (لاكان، ١٩٣٥: ٤٢٨). في وقت لاحق بدا أنه يشعر بالندم لأنه انضم بالفعل إلى كلود (والسرياليين):" لقد كان كليرامبو هو معلمي الوحيد في ملاحظات المرضى، بعد Trenel الدقيق والرائع للغاية، الذي ارتكبت خطأ التخلي عنه هو الآخر في وقت قريب جدًا، من أجل البحث عن منصب في المجالات المكرسة للجهل الأكاديمي' (لاكان، ١٩٤٧: ١٣٧). وخلال سيمينار ه الثالث، عندما كان يناقش الذهان من خلال إقامة حوار فيما بين التحليل النفسي والطب النفسي واللغويات البنيوية، أشاد لاكان (١٩٩٣: ٥، ١٨-١٩) مرة أخرى بمعلمه، وقدم قراءة تحليلية نفسية بنيوية لنظريته بشأن الآلية العقلية.

الآلية العقلية والظواهر الأولية والبنية:

كما هو مبين في المقدمة، في عام ١٩٦٦، لقد أعاد لاكان تأهيل دي كليرامبو من خلال اقتراح صلة وثيقة بين الآلية العقلية ونهجه البنيوي في التحليل النفسي ,Haustgen & Gumpper 2012 . وبالنظر إلى أن لاكان نفسه لم يوضح هذه النقطة بالتفصيل، فإنني سأتفحص أدناه كيف يمكن فهم هذا الارتباط المقترح. باتباع منهجه البنيوي، سأقوم بتطوير عدد من الإسكيمات التي تصور وترسم كيف يتناسب مفهوم الآلية العقلية مع نظرية لاكان البنيوية في الذات.

في السيمينار الثالث، لا يذكر لاكان (١٩٩٣) فقط دي كليرامبو والآلية العقلية بشكل متكرر، ولكنه ينسب إليه أيضًا مفهوم "الظاهرة الأولية" Phénomène Élémentaire (لاكان، ١٩٩٣، ص ١٩، ٣٤). هذا أمر ملحوظ لأن كليرامبو لا يبدو أنه كان يستخدم هذا المصطلح في الكتابات، بل بالحري يشير إلى الظواهر التلقائية الآلية أو "الأوتوماتيكية" عند الحديث عن مظاهر محددة بعينها من الآلية العقلية. يستخدم لاكان مفهوم "الظاهرة الأولية" بداية من ورقته البحثية عام ١٩٣١ عن الفصام فصاعدًا، وفي أطروحة الدكتوراه الخاصة به يبدو أنه ينسبها إلى كريبلين بدلاً من دي كليرامبو: "يصف كريبلين نوعين من الظواهر في الذهان: الاضطراب الأولي والضلال" (لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢]، ص ٢٧). ومع ذلك، كما يشير تريشيه Trichet (٢٠١١)، فإن مفهوم "الظاهرة الأولية" ينبع في الواقع من عمل طبيب الأعصاب البريطاني الفرنسي Benjamin Ball (١٨٨٠)، والذي يستخدمه للإشارة إلى مظاهر أساسية للذهان. كان بول أول كرسي طبي في مستشفى سانت آن في باريس، حيث أكمل لاكان تدريبه في الطب النفسي تحت إشراف هنري كلود. ربما التقط المفهوم في هذا السياق. في لغة لاكان، تعمل مفاهيم "الآلية العقلية" و"الظاهرة الأولية" إلى حد كبير كمرادفات: الآلية العقلية هي الظاهرة الأولية للذهان.

بينما كان يناقش الظواهر الأولية في السيمنار الثالث، يتساءل لاكان بالضبط عما تعنيه صفة "الأولية" Elementary. وبالتمسك بشكل وثيق بكتابات دي كليرامبو، يمكن القول إن لاكان كان ينتقد الاقتراح القائل بأن الآلية العقلية تشكل "النواة الأولية" أو "العملية النووية" للذهان (لاكان،

١٩٩٣، ص ١٩). وقد تشير "الأولية" و"النووية" ببساطة إلى أن هذه الظواهر التي تكون أساسية أو أولية فيما يتعلق بالظواهر الذهانية الأخرى التي هي فقط "ثانوية" في طبيعتها. هذا ما يشير إليه دي كليرامبو عندما ذكر أن الضلالات هي تفسيرات مطعمة على الظاهرة الأولية. يعكس مثل هذا الخط من التفكير عملية حسب التوقيت المناسب: تأتي الآلية العقلية الأولية في المقدمة، ثم يتبعها تشكل الضلالات. وفي رأي لاكان، على النقيض من ذلك، تشير كلمة "الأولية" إلى أن العنصر الأساسي للذهان يتم التعبير عنه: "هذا يعني أن مفهوم العنصر هنا لا يجب أن يؤخذ بأي طريقة أخرى غير كونه بنية، بنية متمايزة، غير قابلة للاختزال إلى أي شيء آخر غير نفسها (لاكان،١٩٩٣: ١٩). إذن، لم تعد كلمة "الابتدائية أو الأولية" تشير إلى لحظة أولية، بل إلى نقطة "بنيوية" يمكن ملاحظتها عبر ظواهر ذهانية متنوعة، ولهذا السبب تعتبر الضلالات أيضًا "أولية": تمامًا مثل الظواهر الأولية، فإن الضلالات تعبر عن العنصر البنيوي وتمفصله وهذا هو أكثر ما يميز الذهان:

«إن الظواهر الأولية ليست أكثر بدائية مما يكمن وراء البناء الكامل لضلال من الضلالات [...] يمكن العثور على بنيانات مماثلة على مستوى تكوين الضلال ودوافعه وتحديد موضوعاته وعلى مستوى الظاهرة الأولية. بعبارة أخرى، إنها دائمًا نفس القوة البنيوية، كما كانت، تعمل في الضلال، سواء كان ذلك كله أو أحد أجزائه قيد الدراسة». (لاكان، ١٩٩٣: ١٩).

ضمن هذا الخط من التفكير، تعتبر فكرة البنية Structure أمرًا بالغ الأهمية. وفي الخمسينيات من القرن الماضي تأثر لاكان بشدة بالتحول البنيوي في العلوم الإنسانية والاجتماعية (على سبيل المثال، ميلنر، ٢٠٠٢) والتي تهدف بشكل عام إلى فهم التنظيم المنطقي لـ "ظواهر معينة" من خلال تعيين العلاقات بين العناصر المكونة لها. في السيمينار الثالث، عرّف لاكان "البنية" بأنها "مجموعة من العناصر التي تشكل متغيرًا مشتركًا"مجموعة [...] يتم إنشاء البنية دائمًا بإشارة شيء ما متماسك إلي شيء آخر مكمل له" (لاكان،١٩٩٣،ص ١٨٣).في خضم هذا المنطق، البنية تعني التبعية والاعتمادية فيما بين العناصر. في مجموعة تتكون من العناصر A, B, and C يتم إنشاء العلاقات البنيوية للعناصر A و B و C إذا، على سبيل المثال، التغييرات في A تعني تغييرات في B، والتي قد تتأثر بشكل أكبر بما يحدث عند المستوى C. في هذه الحالة، تشكل العناصر A و B و C مجموعة، مما يعنى أنه بين هذه العناصر يتم إنشاء علاقات حاسمة.

ما هو حاسم في فهم لاكان للبنية في الخمسينيات هو أنه قام بربطها بالدال: "إن فكرة البنية هي بحد ذاتها بالفعل هي تبدي ومظهر من مظاهر الدال [...] عندما نقوم بتحليل بنية ما يكون دائمًا على الأقل من الناحية المثالية ضرب من الاستشكال عن الدال '(لاكان، ١٩٩٣: ١٨٣ - ١٨٤). عندما كتب لاكان (١٩٨٨[١٩٣١]) عن البنية في الثلاثينيات من القرن الماضي، لم يكن هذا مرتبطًا بعد بالتفكير البنيوي أو بدور اللغة في الحياة العقلية. وفي الواقع، في السيمينار الثالث، عندما قام بتحليل الظواهر الأولية، يفكر لاكان في هذه الظواهر على أنها تجليات على مستوى سلسلة الدوال، وهو ما ينطبق أيضًا على الأعراض العصابية. لقد كانت الفكرة الأساسية هي أن الاستمرارية العقلية التي نخبرها عادة يتم تحديدها من خلال مجموعات من الدوال التي نستخدمها، عالمنا العقلي الخاص، الذي يتكون من شبكات من الأفكار أو المدلولات، متماسك لأننا نصنف ونسمي الأشياء والاحداث التي قد

تحدث عن طريق الدوال. هذه تمكننا من تجربة ضروب الانتظامية.

إن ما يميز السلسلة الدلالية أيضًا هو أنها تتيح التوقع الاستباقي Anticipation والتراجع بأثر رجعي Retroaction (انظر لاكان، ١٩٥٧،١٩٦٠). التوقع يعني أنه بدءًا من دَالٍ واحد أتوقع حدوث الدوال الأخري. في الواقع، بينما نتحدث، يتم إطلاق مجموعة من التوقعات فيما يتعلق بالاحتمالات المختلفة، والتي تُثَبت بُعد التجربة المستقبلية: من خلال التوقع، يتم إنشاء عدد من المفاصل الدلالية المتوقعة عقليًا. الإجراء الرجعي (الارتجاعي)، بدوره، يعني أنه عندما تتكشف الدوال، فإنها تؤثر على المعنى المرتبط بعناصر السلسلة الدلالية المتمفصلة مسبقا والتي تم التعبير عنها. قد يتم التأكيد على الأفكار الراسخة التي تم تشكيلها من خلال مجموعة سابقة من الدوال، أو الاعتراض عليها، أو تطورها لتصبح أكثر تعقيدًا عند إضافة دوال جديدة إلى المجموعة السابقة.

الأهم من ذلك، أن النظرية اللاكانية لا تنسب (لا تعزو) فقط وظيفة توليد المعنى إلى التوقع Anticipation والتراجع Retroaction. إن التمفصل الدلالي هو الآخر يولد أيضًا بُعدا للذات Fink, 1995 ؛Vanheule, 2011. من خلال الكلام أقدم نفسي لنفسي وفي علاقة بالآخرين. يستلزم الكلام موقفًا إعلانيًا تلفظيا enunciating من خلال تمفصل الدوال. ومع ذلك، وبشكل حاسم، فإن هذا الموقف التلفظي المعلن لا يتم تمثيله بالكامل أو بشكل كافٍ من خلال أي من الدوال التي استخدمها Feyaerts, 2015 & Vanheule. من ناحية أخرى، تنتج تمفصلات السلسلة الدلالية الدالّة ذاتا ملفوظة مُعلنة Enunciated: ومن خلال الفعل الرجعي (الاسترجاع)، أقوم بتأسيس أفكار تتعلق بهويتي في ضوء هوية الآخرين. ومع ذلك، فإن هذه الأفكار لا تشكل كلًا مطلقًا ويمكن أن تحتوي على تناقض. وهذا أحد أسباب تصور الذات باعتبارها منقسمة في النظرية اللاكانية. ومن ناحية أخرى، يستلزم استخدامنا للكلام ذاتا ناطقة لافظة An Enunciating Subject. هذا يعني أن كل مسعايا نحو التمثيل يتخبط علي نحو تلازمي. في الكلام، على الرغم من أنني قد أبدو منسجمًا مع ما قلته، لا يكون هذا هو الحال أبدًا: إن القول The Saying لا يتوافق أبدًا مع ما يقال The Said، مما يعني أن فعل النطق والتلفظ ينطق على هذا النحو الجانب غير المعلن من الذات (مالا تقوله الذات). لذلك، فإن الذات ليست كيانًا ثابتًا، ولكنها لها طابع شبيه بالحدث سريع الزوال: في حركة الإمالة بين الدوال تتلاشى الذات لحظة تسميتها

اعتبار الآلية العقلية والتفكير فيها بنيويا:

بلغة هذه العناصر من النظرية البنيوية عند جاك لاكان، يمكن تصور الآلية العقلية وصياغتها تصوريا على أنها تدخل غير متوقع في سلسلة الدلالة. في حين يميز دي كليرامبو بين المجالات الوظيفية المختلفة التي يتم من خلالها التعبير عن الظواهر التلقائية (إيديو لفظي، حركي، عاطفي حسي)، كان تركيز لاكان أكثر تجريدًا، مع التركيز على الانتظام المنطقي للتداخل الذي يحدث. على سبيل المثال، في «حول استفسار أولي قبل أي علاج ممكن للذهان»، عند انتقاد النهج الطب نفسي للهلوسات، لاحظ لاكان ما يلي:

«كان أداء الأطباء أفضل عندما اكتشفوا أن الهلوسات الحركية اللفظية غالبًا ما تكون مصحوبة بحركات صوتية جزئية خاصة بالذات. ومع ذلك، لم يوضحوا النقطة الحاسمة، وهي أنه بما أن المدرك الحسي غير مبالٍ في إنتاج سلسلة دلالية:

(أ) تفرض السلسلة الدلالية نفسها، بنفسها، على الذات في بُعدها كصوت؛

(ب) تضطلع، على هذا النحو، بواقع يتناسب مع الوقت، وهو أمر يمكن ملاحظته تمامًا في الخبرة، المشارك والمتضمن في إسنادها وعزوها الذاتي؛

(ج) وبنيتها الخاصة، بوصفها دالا، هي عامل محدد في هذا الإسناد، والذي يكون فرديا كقاعدة- أي أنه يحتوي على العديد من الأصوات وبالتالي يجعله ملتبسًا فيما يفترض أنه توحيد في الإدراكات Percipiens. (لاكان، ١٩٥٩: ٤٤٧)

من وجهة نظره، فإن المجال الوظيفي المحدد، أو السجل الحسي (الحسي)، المتأثر في عملية الهلوسة، يخضع للعملية الدلالية التي يتم تكوينها على طولها: يتم فرض الدوال تلقائيًا على الموضوع (المكون (أ) من الاقتباس)؛ تعطل الدوال المفروضة عملية الإجراء الرجعي (وتصبح أكثر قابلية للدحض كلما طالت الحيرة الأولية) (المكون (ب))؛ ونتيجة لذلك، فإن الذات نفسها، والتي هي نتيجة (أثر) التمفصل الدلالي، يتم تحديها وجعلها غامضة (المكون (ج)). في حين أن لاكان لا يطبق صراحة هذا الخط من التفكير البنيوي على الآلية العقلية لدي كليرامبو، إلا أن كلاهما متوافقان، كما يقترح في مقاله «عن أسلافي». وعلى وجه التحديد، يمكن القول أنه في الظواهر التلقائية الآلية الإيجابية، يتم تعطيل مساري التوقع والتراجعية بسبب الحدوث العفوي التلقائي للدوال الطفيلية الإقحامية غير المتوقعة التي لا تتناسب مع خط الدوال الذي تتكون الذات على أساسه. إن هذا يُعطل تماسك مجموعة الدوال التي كان المرء يستخدمها بالفعل عند فهم العالم. وبالنظر إلى فقدان هذا التماسك، لا يمكن ربط أي مدلولات ذات مغزى بمثل هذه الدوال الطفيلية الإقحامية: تفشل الحركة التراجعية في ربط الدوال الطفيلية بعناصر أخرى في سلسلة الدلالة، وبالتالي تنزعج الذات بشدة. إنها تواجه الذات بعنصر لا معنى له ولا يمكن أن يُنسب إلى الذات المتكلمة (أنا لست بمنشئ لهذا التفكير/ لهذا الكلام/ لهذا الفعل/ لهذا الشعور/ ولهذا الإدراك»: «إنه ليس أنا، إنه يحدث في/ لي»). هذا هو بالضبط ما يمنحهم وضعهم المعرفي المميز: لأن هذه الدوال الطفيلية لا يمكن أن تُنسب إلى ذات ناطق متلفظ. فهي تشكل مجموعة معرفية مفروضة، معرفة بارانوية، لا يمكن الاستشكال عنها أو التشكيك فيها. وعلى عكس نتاجات اللاشعور في العصاب، لا يتم خبرة الظواهر الأولية كتعبيرات عن ذات الفرد. فنتاجات اللاشعور في العصاب تثير مفاجأة: تظهر الدوال المزاحة Displaced في سياقات غير متوقعة، وبإعادة لصياغة فرويد (١٩١٩)، تثير الشعور بأن المرء ليس سيد منزله. وعلى النقيض من ذلك، فإن ظهور الظواهر الأولية الإيجابية يكون مصحوبا بالحيرة والفزع. إنها مظاهر وتبديات لدوال لا يمكن التفكير فيها أو لا يمكن تصورها، والتي لا يشعر المرء بأنه علي صلة بها، على الأقل في البداية. ومع ذلك، نظرًا لأن مثل هذه الدوال الغازية تتدخل في سلسلة الدلالة التي تشكل الذات، فلا يمكن وضعها جانبًا ببساطة، فهي تؤثر على الذات المنطوقة ("هذا الفكر/ الكلام/ الفعل/ الشعور/ الإدراك يهمني"). من خلال فرض عنصر غريب في خضم كيفية تعامل الذات مع العالم، فإن مثل هذه الدوال الطفيلية تقوض الهوية التي تخبرها الذات سواء بالنسبة لها هي نفسها أو بالنسبة للآخرين. لاستخدام استعارة فرويد، فإنها تزعزع استقرار فكرة وجود ملاذ آمن يحمي من العالم الخارجي. إن الظواهر الأولية عبارة عن قنابل (تهدد) تجعل المنزل ينفجر.

ولا يمكن ببساطة أن تتكامل المعرفة البارانوية في الحركة الاسترجاعية بأثر رجعي (توليد المعنى) للسلسلة الدالة، والتي لا تطمس كثيرا الذات، ولكنها تتساءل بشكل أساسي عما إذا كانت الذات لما تزل هي من يتحدث،هي من يتحدى ما إذا

كان المرء ذاتًا على الإطلاق، أو موضوعًا خاضعًا لنوايا ومقاصد خارجية. وفي الواقع، عندما يتم استبدال الارتباك والخلط في تلك المرحلة بضرب من حُكم، يبدأ النشاط الضلالي: تغييرات على مستوى الذات المنطوقة لا تُنسب ولا يتم عزوها إلى الذات الناطقة، ولكن إلى شخص آخر لا يمكن السيطرة عليه. هي فقط خاضعة له ليس إلا. وكما أشرنا سابقًا، فإن الضلالات، من وجهة نظر لاكان، تكرر Reitrate النقطة المحورية للانقطاع والتقطع الذي يظهر أيضًا في مقدمة الظواهر الأولية. لذلك، لا ينبغي النظر إليها على أنها تفسيرات، ولكن باعتبارها اختلافات وتباينات في نفس النقطة البنيوية؛ أي نقطة القطيعة في الألفة بالحياة.

إن الظواهر التلقائية السلبية، بدورها، يتم تصورها على أنها قطيعة جذرية في التكشف المستمر لسلسلة الدوال. إن التعبير الدلالي نفسه يتم كبحه وإغلاقه، ونتيجة لذلك، يتم تقويض التوقع على وجه الخصوص. إن ما يضيع في الظواهر التلقائية السلبية هو مادية الدال نفسه. في المكان الذي يُتوقع فيه حدوث الدال، بالنظر إلى مسار السلسلة الدالّة، ينتظر الفراغ المقفر، والذي، علاوة على ذلك، لا يشير إلى أي شيء ("أفكاري/ حديثي/ عملي/ شعوري/ إدراكنا يختفي"). العنصر الأساسي الذي يبني عليه التوقع يكون غائبا، وبالتالي فإن نقطة نهاية الكلام لا تجلب سوى الحيرة. وبالنظر إلى هذا الفراغ المقفر، فإن المعنى المنسوب إلى الأحداث الماضية والمستقبلية لا يتم تشكيله. إن في هذه الحالة، الإجراء الرجعي يفشل جذريًا. لمزيد من إعادة صياغة فرويد: في حالة الظواهر الأولية السلبية، لا ينفجر المنزل؛ ينهار. في الواقع، فإن الغياب الأولي للدالّيات يعني اختفاء ذات متلفظ، ويعيق بشكل جذري إنشاء موضوع مُعلن. في هذه الحالة، يفشل الموضوع المنقسم ببساطة في تكوين نفسه. ما تبقى هو الفراغ المخدر، وفقدان القدرة على تجربة الذات كاستمرارية في المكان والزمان: يتم إبطال بُعد الموضوع المقسم، الذي يظهر كتيار خفي من التعبير الدلالي.

فيما يتعلق بنظرية لاكان البنيوية منذ خمسينيات القرن الماضي، فإن الآلية العقلية تتعلق بضرب من الاضطراب الوظيفي الرسمي الذي يؤدي إلى الغموض والتقطع في سلسلة الدلالة، مما يزعزع استقرار خيرة الذات. إنها تنطوي علي ضرب من القطيعة في عملية التفكير والشعور، مما لا شك في هذا الشعور الوهمي، ولكنه تأسيسي يتم فقدان الشعور بأن الذات هي الفاعلة والمالكة للعمليات العقلية في مقابل الشعور الوهمي، التأسيسي.

وهكذا يمكننا بالفعل أن نستنتج أن عملية الاضطراب التي يصفها كليرامبو، علي الرغم من أن لاكان، علي العكس من دي كليرامبو، لم يناقش الآلية العقلية بلغة مجالات وظيفية محددة، تتوافق مع نهج لاكان البنيوي منذ الخمسينيات، حيث تكون الظواهر الأولية أحداث في السلسلة الدلالية التي تزعزع استقرار الذات. من حيث تمييز لاكان بين سجلات الواقعي والرمزي والمتخيل، فإن الظواهر الأولية هي اضطرابات في الواقعي على مستوى النظام الرمزي. يتم فقدان النظام، ويتأتي الاضطراب الرمزي في المقدمة، وهذا يهدد الذات بسبب تقويض الأساس المادي الذي من خلاله يتم تمفصل الذات (أي سلسلة الدوال).

من السببية إلى التحتيمة:

على الرغم من توافقهما البنيوي، فإن كل من دي كليرامبو ولاكان يؤطران (يضعان إطارا) الآلية العقلية بطرق مختلفة نوعًا ما. فلقد اختلف لاكان بالفعل في أطروحته للدكتوراه مع فكرة دي كليرامبو التي مؤداها أن الظواهر الأولية ليس لها

إلا أصل عضوي فقط. وبدلاً من ذلك افترض لاكان أنها تُستثار في ضوء العلاقة بالآخر (لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢: ٢١١-١٧]). فعلى سبيل المثال، في دراسة الحالة التي أجراها حول المريضة "إيمي"، أشار لاكان إلى أن "المواقف الحيوية" و "الصراعات الأخلاقية" المتعلقة بموقفها تجاه طفلها وأختها وزوجها كان لها تأثير مزعج وقد استثارت اضطرابات من نوع الآلية العقلية (لاكان، ١٩٧٥ [١٩٣٢]، ص. ٢٦١).

وفي السيمينار الثالث، أوضح لاكان هذه الفكرة بمزيد من التفصيل، مشيرًا إلى أن "اللحظة الخصبة" لإطلاق نوبة ذهانية إنما تتضمن "عنصرًا عاطفيًا في حياة الشخص، أزمة في الواقع تشمل علاقاته الخارجية" (لاكان، ١٩٩٣: ١٧-١٨) .ومع ذلك، فإن ما هو حاسم بالنسبة لخط تفكير لاكان ومنطقه هو أنه يربط قدح زناد (إطلاق) الآلية العقلية بالمواجهة مع فشل جذري أو سقوط قيد Foreclosure في تمثيل المرء نفسه (الذات) Oneself من خلال الدال في ضوء الأسئلة التي تحدث على مستوى اللاشعور.

وضمن هذا السياق، تواجه الذات أسئلة تتعلق بالوجود على مستوى اللاشعور. وتماشيًا مع قول نيتشه القائل بأن الإنسان حيوان مريض، افترض لاكان أن أداء الإنسان وعمله يتحدد جزئيًا فقط من خلال البيولوجيا أو العوامل البيئية. وعمله بشأن المرحلة المرآوية والنموذج المزدوج للمرآة قد جعل هذا واضحا (لاكان، ١٩٦١،١٩٤٩): فالنضج الطبيعي والأنماط الغريزية لا تتحكم تمامًا في هويتنا ومن نكون؛ وبالتالي تتركنا، على مستوى الوجود والكينونة، في حاجة غير سارة، تسمى نقصان في الكينونة (Manque-à-Être). ولقد كتب لاكان (١٩٥٩:٤٦١) أن هذا "الخلاف العضوي" يستلزم بالضرورة "التعايش مع الرمزي". وفي الواقع، نحن في التعامل مع عدم الارتياح Unbehagen، على مستوى الوجود والكينونة، نستخدم دوالا. ويمكننا العيش بلغة ما تحددها الثقافة والسياقات الاجتماعية على أنها طرق أو أساليب جيدة للعيش والحياة، بفضل ما يسمى بالتعايش التكافلي مع الرمز، يتحول نقصان الكينونة غير المستقر إلى مسألة وجود مفصلية. فمن الآن فصاعدًا، تشكل الأسئلة المعرفية الموجهة ذاتيًا (من أكون أنا؟) والأسئلة المتعلقة بقصدية الآخر ("ماذا تريد؟") اللاشعور.

وبشكل أكثر تحديدًا، في مقالته عام ١٩٥٩ عن الذهان ذهب لاكان إلى أن اللاشعور إنما ينتظم حول مجموعة من التساؤلات أو المعضلات المتعلقة بالوجود (وجودية- الوجهة) Related Existence -، والتي لا يمكن للدوال أن تحلها مرة والي الأبد. إن هذه التساؤلات أو المعضلات تتعلق بوضعية الفرد في ضوء العلاقة بالأبوة والسلطة؛ بالحياة في ضوء الموت؛ بالجنس في ضوء العلاقة بالحب والإنجاب؛ وفي ضوء التشكل الجنسي، أي بمعني: يكون الاستفسار حول ما إذا كان المرء رجلاً أو امرأة، أو كيف يكون رجلا أو إمرأة (لاكان، ١٩٥٩: ٤٦١-٤٦٤). تواجهنا الحياة اليومية بمثل هذه القضايا. وفي حين أنه لا يمكن لدالٍ أن يحدد بشكل حصري وقاطع هويتنا، فإن القصص التي نرويها والأفكار التي نحملها تشهد على محاولتنا لحل هذه الوضعية المتذبذبة التي نشغلها على مستوى الوجود. وعلاوة على ذلك، فإن هذا التردد والتذبذب، علي النحو الذي يظهر به في المقدمة في استخدامنا للدال في مقابل الأسئلة المتعلقة بالوجود، هو الذي يحدد الذات.

وفي مقالته "حول تساؤل أولي قبل أي علاج ممكن للذهان"، قام لاكان (١٩٥٩) بالتمييز بين الذهان والعصاب باعتبارهما طريقتين للتعامل مع الأسئلة الوجودية، والتي لها آثار وتضمينات مباشرة على الكيفية التي بها يتم تحديد وحدوث الظاهرة الأولية. وقال إنه في حالة العصاب، يتم

تناول السؤال المتعلق بقصدية الآخر ومواجهته في ضوء مبدأ قانونيLawful Principle، والذي يتم افتراضة على أساس أفعال الآخر وتصرفاته. ففي هذه البنية الكلينيكية (البنية الذهانية) تتشكل الذات تتشكل من خلال الاعتقاد بأن تصرفات الآخر ليست بعشوائية، ولكنها موجهة بمبادئ ذات مغزى: فالقوانين الاجتماعية والثقافية هي التي تحدد ما يفعله الآخر، أو ما يجب أن يفعله. لقد أطلق لاكان (١٩٥٩) على هذا المبدأ الشرعي القانوني "الاسم- بتاع- ال- أب". «وما هو أكثر من ذلك، فإنه عن طريق التعيينات اللاحقة التي تزيد من تناغم الذات مع رغبة الآخر، تحصل الأسئلة المعرفية الموجهة ذاتيًا للذات (« من أكون أنا؟») هي الأخري على إجابة. أما في الذهان، فعلى النقيض من ذلك، يكون اسم الأب مفقودًا أو سقط قيده Foreclosed بشكل جذري، ولن يكون هناك من إجابة سواء للأسئلة المتعلقة بقصدية الآخر أو للأسئلة المعرفية الموجهة ذاتيا للذات، وكنتيجة لذلك تكون خبرة الذات غير مستقرة.

إذن ما الذي يحدد حدوث الظواهر الأولية؟ إنها تنبثق وتظهر في ضوء العلاقة بالآخر عندما تستثير أحداثا حياتية بعينها أسئلة تتعلق بالوجود، ولكن لا تجد دعما في "الاسم- بتاع- ال- أب". بعبارة أخرى، فإن مناشدة المرء لنفسه والنداء إلى التمركز هو حدث لا غنى عنه، ولكن لا يوجد من دعم في أي دال على الإطلاق. وهذا ينتج عنه تقطع في سلسلة الدلالة. عند هذه النقطة يظهر احتمالان في المقدمة. فإما أن ينتهي الأمر بالمرء إلى ارتباك وخلط، إذ يتمثل الخرق في سلسلة الدلالة ويظهر بكل فظاظته. وفي هذه الحالة تموت سلسلة الدلالة، مما يؤدي إلى آلية عقلية سلبية. الاحتمال الآخر هو أنه بدلاً من موت سلسلة الدلالة، تبدأ السلسلة الدالة في العمل بطرق غير خاضعة للرقابة (علي نحو لا يمكن السيطرة عليه)، ويتم إنتاج دوال بديلة في واقع الذات، مما يؤدي إلى آلية عقلية إيجابية.

في الواقع، فإن الفرضية الكامنة وراء إنموذج لاكان هي أن المواجهات مع سقوط قيد الإسم- بتاع- ال- أب هي التي تحدد الآلية العقلية. من الناحية الكلينيكية، فإن هذا يشير إلى أنه عند اكتشاف الظواهر الأولية في خطاب المريض، يحتاج المحلل النفسي إلى بناء، من خلال صياغة الحالة، كيف يمكن أن ترتبط الآلية العقلية بأحداث بعينها من الفشل- الفشل في تمثيل المرء نفسه عن طريق الدال فيما يتعلق بالآخر.

تتمثل القيمة المضافة للتفسير اللاكاني بشأن الآلية العقلية في أنه يمكننا من فهم سبب تلامس ظواهر الآلية العقلية بمحتويات بعينها. إن سقوط القيد Foreclosure يعني أن قضايا محددة تتعلق بالجنسية والموت والعلاقات والقصد البشري لا يمكن معالجتها في مصطلحات وعبارات قانونية، ونتيجة لذلك يتم التعبير عنها في الواقعيReal من خلال ظواهر تلقائية، والتي تظهر بطرق وحشية وغير متوقعة وقاسية صارمة، وتواجه الذات بمحتويات لا يمكن افتراضها عن طريق الاسم- بتاع- ال- أب. ومن هنا، على سبيل المثال، كان حلم اليقظة عند القاضي شريبر هو أن من الجميل أن تكون امرأة تمارس الحب، وهي فكرة مفروضة تلقائيا بشكل آلي، على الأقل في البداية، ولا يستطيع فهمها. ولقد إندلع هذا التفكر في اللحظة التي تم إخطاره فيها بتعيينه في منصب رئيس المحكمة العليا Senate President. وهذا شكل نداءً لتأكيد رجولته، التي انهارت، وفجأة تغمره فكرة أنثوية. ومثال آخر يمكن العثور عليها في حالة "إيمي": لقد فشلت في شغل منصب الأمومة فيما يتعلق بإبنها، وفجأة يتبادر إلى ذهنها أن الناس يريدون إيذاء طفلها. وفي الواقع، ما يتركه لاكان جانبًا هو التفسيرات

السببية لدي كليرامبو، واستبدالها بالتركيز على التحتيم اللاشعوري.

الخلاصة:

بدءًا من مقدمة عامة عن Gaëtan Gatian de Clérambault، وعلى وجه الخصوص مفهومه عن الآلية العقلية، تناولت هذه المقالة فكرتين من كتاب لاكان بعنوان "عن أسلافي". بداية، عملت علي توضيح العلاقة الارتباطية بين مفهوم لاكان "المعرفة البارانوية" و "الآلية العقلية" لدي كليرامبو من أجل توضيح السبب الذي من أجله تجاهل لاكان في البداية العلاقة الواضحة بين هذين المفهومين في عمله المبكر. يبدو أن الولاء لهنري كلود كان العامل الرئيسي هنا. ثم بعد ذلك، قمت بتفحص فرضية لاكان التي مفادها أن مفهوم دي كليرامبو للآلية العقلية يتطابق بشكل وثيق مع نهجه البنيوي للتحليل النفسي، وهو أمر لم يثبته لاكان بنفسه. لقد ناقشت أن الآلية العقلية من المنظور البنيوي تنبع وتتأتي من تمزق في استمرارية السلسلة الدلالية، مما يؤدي إلى اختفاء الذات. تترابط الآلية العقلية السلبية مع حدوث فجوة في سلسلة الدوال، وتترابط الآلية العقلية الإيجابية مع حدوث دوال غير متوقعة. علاوة على ذلك، أشرت إلى أن نظرية لاكان تتضمن الفرضية القائلة بأن مظاهر الآلية العقلية يتم تحديدها من خلال ما يسمى سقوط قيد الاسم-بتاع- ال-أب في الذهان، حيث لا يمكن معالجة الأسئلة المتعلقة بالوجود عن طريق سلسلة الدلالة. إن الآلية العقلية تشهد على ذلك. ما هو مثير للاهتمام حول الارتباط مع نظرية لاكان في سقوط القيد هو أنه يُمكِننا من شرح سبب ظهور محتويات بعينها وتتأتي في المقدمة في الآلية العقلية.

ومن المثير للاهتمام أن تركيز هذه الورقة له آثار على النظرية المعاصرة في مجال التحليل النفسي اللاكاني. ففي السنوات الأخيرة، طور المحللون النفسيون اللاكانيون اهتمامًا قويًا بـ "الذهان العادي" Ordinary Psychosis أو "الذهان البارد" Cold Psychosis: أساليب أداء ذاتية لا تتسم ولا تتميز بالهلوسات أو الضلالات الواضحة، ولكنها مع ذلك تحمل دليلا على الذهان وتشهد عليه (ميللر، ٢٠٠٩؛ ليدر،٢٠١١؛ ريدموند، ٢٠١٤). بالإشارة إلى نص لاكان (١٩٥٩) "حول سؤال أولي قبل أي علاج ممكن للذهان"، يفترض ميللر أن الذهاني العادي (الحالات البينية) يتسم أولا وقبل كل شيء بخيرة- ذاتية مضطربة تتكون من الشعور بأن ثمة شيء ما يكون خطأ في الحياة؛ خبرة ب-"اضطراب يحدث في أقصى نقطة من إحساس الذات بالحياة" Miller, 2009: 154. وعادةً ما يتم التعبير عن هذا الاضطراب في الشعور بالتخارجية Externality أو الانفصال التفككي Disconnection الذي يتجلى "في الطريقة التي تستشعر بها بالعالم المحيط، وفي الطريقة التي تستشعر بها جسدك، وفي الطريقة التي تتعامل بها مع أفكارك الخاصة" Miller, 2009: 154. وعلى وجه التحديد، يشير ميللر في IRMA, 1999: 290 إلى أن هذا الشعور بالتخارجية أو الانفصال التفككي قد يكون أفضل تأطير له بلغة الآلية العقلية. ومع ذلك، فهو لا يوضح كيف يتناسب مفهوم دي كليرامبو مع الإطار اللاكاني. وينطبق الشيء نفسه على مؤلفين آخرين يعملون في هذا الموضوع (ريدموند، ٢٠١٤). ومن هنا تأتي فائدة إنشاء أوجه تشابه واختلاف وتواز بين الآلية العقلية لدي كليرامبو ومفهوم الذهان البنيوي عند لاكان.

وأخيرا، تترك هذه الورقة عدة أسئلة دون معالجة. وإحدى النقاط التي تستحق دراسة ضافية هي كيفية استخدام لاكان لمفهوم الآلية في مناقشته لـ "ما وراء مبدأ اللذة" عند فرويد، وكذلك مفاهيم Tuché & Automaton عند أرسطو (لاكان، ١٩٦٤ ؛

فيرهايج، ٢٠٠٢). كلتا المناقشتين ذات صلة بنظرية دي كليرامبو عن الآلية العقلية Tevissen, 2008. وأكثر من ذلك، بالضبط كيف يجب معالجة تقديم الحالات السريرية الأسبوعية التي يقدمها لاكان، والتي كان يصيغها كعمل تحليلي فعلي (ميللر، ١٩٧٨)، والابتعاد عن أسلوب المقابلة التي تعتمد على الخبرة لدى دي كليرامبو، والتي يجب تناولها أيضًا Haustgen & Gumpper, 2012.

LACAN
FREUD